From *St Mark Magazine* 14, no. 149 (Apr 1973): 16–18, 15.

معمودية الصليب

دكتور نصحى عبد الشهيد

« ولى صبغة أصطبغها وكيف أنحصر حتى تكمل »
(لو ١٢ : ٥٠)

نقترب من منظر آلام يسوع وصليبه باحساس الرعدة والخشوع لأننا نواجه السر العظيم : سر اقتدار الله المختفى فى ضعف الجسد · سر محبة الله غير المحدودة المختفية وراء دموع يسوع وأحزانه وعرقه المتصبب وصراخه وأنين آلامه وكل جهاده وصبره فى جثسيمانى وعلى الصليب ، بل نواجه فاعلية بر الله فى معالجته لمشكلة الخطية بادانتها فى جسد ابنه يسوع المسيح ·

وقبل أن يصلب يسوع بعدة شهور تحدث أمام تلاميذه عن موته الذى كان مزمعا أن يتممه فى أورشليم ، ووصف آلام الصليب بقوله « لى صبغة أصطبغها وما أشد انحصارى حتى تكمل » (١) (لو ١٢ : ٥٠) · وهنا يرى يسوع الصليب من على بعد ويصفه بأنه صبغة سيصطبغ بها ، والكلمة المترجمة صبغة تعنى معمودية أى أن يسوع يتحدث عن الصليب وآلامه باعتباره معمودية سيغطس فيها ولكنه لن يغطس فى ماء بل سيصطبغ محاطا من كل جهة بآلام وأحزان حتى الموت ، سيصطبغ بدمه المسفوك ، سيجوز عنا بحر الغضب الذى تستحقه الخطية التى يحملها فى جسده على الخشبة · سيجوز لجج اللعنة بقبوله أن يحمل خطايانا بل بقبوله أن يصير خطية لأجلنا ·

أن حديث يسوع عن صليبه بهذه الصورة يكشف لنا أمرين فهو من ناحية مشغول ومثقل بمسئولية وعبء تحقيق خلاصنا من الخطية والشيطان والموت ، وذلك بسبب حبه للآب وحبه لنا · ومن الناحية الأخرى فهو يدرك

---

(١) نص الآية فى الترجمة المتداولة « لى صبغة أصطبغها وكيف أنحصر حتى تكمل » وهى ترجمة دقيقة لغويا ، وان كان المعنى قد يحتاج الى توضيح، لهذا أوضحنا المقصود بـ « كيف أنحصر » بـ « ما أشد انحصارى » ·

تماما ويحس ويرى بوضوح خطورة وصعوبة الآلام والضيقات التى سيتحملها على الصليب بسبب خطايانا التى جعلته فى وضع الرفض والترك وانحجاب وجه الآب عنه كذبيحة خطية فما أشد انحصار المسيح فى الفترة السابقة على الصليب ، الذى يعنى حبا غير محدود يملأ قلبه ويثقله بمسئولية خلاص البشر ، هذا الحب فى الحقيقة هو الذى جعله منحصرا ، وانحصار يسوع مرتبط بتكميل الصبغة التى سيصطبغها أى بتتميم معموديته على الصليب ٠

ان الصليب بآلامه وأحزانه وبما تم عليه من ادانة الخطية فى جسد المسيح هو المعمودية الحقيقية التى اصطبغ بها يسوع مخضبا بدم نفسه ٠ وفى هذه المعمودية ـ معمودية الصليب ـ قد تمم الله ادانة الخطية فى جسد المسيح ٠

دان الخطية فى الجسد : « الله اذ أرسل ابنه فى شبه جسد الخطية ، ولأجل الخطية **دان الخطية فى الجسد** لكى يتم حكم الناموس فينا نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح » (رو ٨ : ٣ ر ٤) ٠ فى معمودية المسيح على الصليب أدان الله الخطية فى الجسد ٠ ويؤكد الرسول بولس أهمية ادانة الخطية فى الجسد بقوله أن الله أرسل ابنه لهذا الغرض « لأجل الخطية » ، فيسوع جاء فى الجسد لكى يغلب الشيطان بالجسد حتى تصير لنا هذه الغلبة وأدان الخطية بالجسد لكى لا يكون للخطية أى حق علينا أو سلطان ما دمنا نؤمن بالمصلوب انظافر بالخطية والشيطان ٠ ويعلق القديس يوحنا فم الذهب على عبارة « دان الخطية فى الجسد » قائلا : [أنظركم من أشياء عجيبة قد حدثت ! فأولا الخطية لم تغلب الجسد بل بالعكس لقد انهزمت الخطية ، واندحرت بواسطة الجسد نفسه ، لأنه ليس أمرا عاديا أن لا ينغلب الجسد بل والأمر الآخر أن يغلب تلك التى كانت دائما تطرحنا خارجا (أى الخطية) ٠ والأمر الثالث أن الجسد لم يغلب الخطية فقط بل أيضا عاقبها ٠ فان الجسد بواسطة عدم الخطية حفظ من الهزيمة ولكن بموته أيضا قد انتصر على الخطية وأدانها ، وبذلك فان الجسد الذى كان قبلا موضوع سخرية وهزءا من الخطية صار رعبا واضحا للخطية ٠ وبهذه الطريقة فان الرب انتزع من الخطية قوتها ، وأباد الموت الذى أدخلته الى الانسان فانها طالما كانت ممسكة بالخطاة ، كان يحق لها أن تسود عليهم للنهاية (أى الى الموت)٠ولكن بعد وجود جسد بلا خطية(جسد المسيح)فانها حينما تسلمه الى الموت تكون بذلك قد أدينت ، اذ تصرفت ـ فى هذه الحالة ـ ضد العدل والحق ٠ أنظروا ما أكثر براهين النصر ، فبدلا من أن يغلب الجسد من الخطية ، قد غلبها وأدانها ٠ ولم تكن ادانته لها ضعيفة

اذ انها أمسكت بجريمة قتلها لجسد بلا خطية ... وهكذا يحكم عليها بمقتضى قوانين العدالة . وهكذا ترون أن الخطية هى التى صارت مدانة من كل جهة ، وليس الجسد ، بل أننا نرى أن الجسد يتكلل بالكرامة ويصدر حكمه ضد الخطية] .

ما أرهب هذه المعمودية ـ أن يسوع بقوة بره وقداسته وطاعته للآب ـ بقوة حياته أبطل الخطية وقوتها ـ لقد أغرق الخطية والموت ـ أعداء الانسان ـ أغرقها فى دم صليبه ـ فى دم معموديته الفريدة ـ أبطلهما بختانه اذ قبل أن يخلع جسده منه بالآلام والتمزيق حتى الموت ـ هذا ما يسميه الرسول بولس « ختان المسيح » ويقصد موته على الصليب الذى « به ختنتم ختانا غير مصنوع بيد » (كو ٢ : ١١) . هذا هو الختان الحقيقى الذى كانت فريضة الختان فى العهد القديم مجرد رمز بسيط له .

فالمسيح أصطبغ على الصليب بمعمودية آلام دينونة الخطية الرهيبة ، وختن ختانا فريدا بالصليب ،

هو ونحن :

ولكن معمودية الصليب وختان الصليب لم يتممهما المسيح لأجل نفسه بل لأجلنا وفى الحقيقة أن معمودية الصليب هى لنا وكذلك ختان الصليب .

لهذا يقول الرسول « أننا كل من أعتمد ليسوع المسيح أعتمدنا لموته .. عالمين هذا ان انساننا العتيق قد صلب معه ليبطل جسد الخطية كى لا نعود نستعبد أيضا للخطية » (رو ٦ : ٣ ـ ٦) .

فكل من يؤمن بالمسيح ويعتمد له ـ أى لموته ـ ، فليعرف أنه مصلوب مع المسيح على الصليب ، وأنه « ختن ختانا غير مصنوع بيد » ، أى أنه ختن بصليب المسيح أو بمعنى آخر أن المسيح المصلوب يهتف فى أعماقه **أنه لا ينبغى أن يعيش لنفسه أو شهواته** وأطماعه أى حسب الجسد ـ لأنه صلب ودفن ومات ـ مع المسيح أى أنه كان فى داخل المسيح وهو يتألم ويصلب ويموت ، **بل ينبغى أن يحيا للمسيح** غالب الخطية وغالب الموت لان قوة غلبة المسيح كانت حاضرة منذ صلبه ـ حتى قبل أن تعلن جهارا بالقيامة ـ ولكنها أعلنت فى اليوم الثالث بقيامة الجسد حيا ممجدا بمجد الآب ـ هذه القوة ـ قوة القيامة هى نصيب كل من يشترك بارادته فى صليب المسيح وختانه ـ هذه القوة التى يمكننا أن نسميها أيضا قوة

البقية ص ٩

« ان هذا هو صليبى ، دعنى احتضنه ، دعنى أحس بحرارة الدم يلطخ وجهى أمام سكان أورشليم وسأقف أمامهم بغير خجل وأكمل فى جسدى نقائص شدائدك » · انهم يضطهدونى ويطردونى من مجامعهم ثم من مدنهم لكنى وسط هذه الشدة أعرف أن الله قد برررنى ، لم أطلب هذا لكنى وجدت نفسى مبررا مجانا بنعمته لأنى قبلت دينونة الصليب ، قبلت حكم الله على نفسى ، لن يفهموننى فالتبرير هو حكم الله على ولا يسمعه الا قلبى التائب وعندما أحدثهم عنه سأكون كمن يتكلم بالسنة جديدة ·

لقد عبرنا ووقفنا عند حافة الزمن انها الساعة الأخيرة لكن الزمن كما هو ، لا ينتهى ! هذه هى مآساتنا ، اننا ننتظر مع أننا فى النهاية ·· ان كلمات الترنيمة الأولى على شفاهنا لكننا نسينا اللحن ، أننا نمسك الفيثارة الذهبية بأيدينا ولا نريد أن نستمع الى نغماتها فأطفالنا يلبسون المسوح ، يقدمون توبتهم عوضا عن الشيوخ ، يحملون الصليب عوضا عن الآباء ·· ان كل الأبواب قد أغلقت وبقى باب صف الأطفـــال ·· كعلامة وجودك بيننا ··

(المسيح والشباب) بقية ص ١٢

الصليب ـ هى معطاة لنا لكى نمارس بها صلب أهوائنا ورغباتنا ، بالايمان بيسوع حتى نعيش فعلا ونسلك لا حسب الجسد بل حسب الروح لأن **قوة روح الحياة فى المسيح يسوع** ـ قوة ادانته للخطية ـ قوة قيامته هى لنا ، ويجب أن نطلبها ونمتلكها بالايمان ـ لأننا بهذه القوة وحدها نعتق من ناموس الخطية والموت العامل فى طبيعتنا · « لأن ناموس روح الحياة فى المسيح يسوع قد أعتقنى من ناموس الخطية والموت » (رو ٨ : ٢) ·

ما أسعدنا بالمسيح ·

ما أغنانا بقوة صليبه وقيامته ·

فلنسبح ولنمجد الذى أظهر بالضعف ما هو أقوى من القوة ·

نشكرك يا يسوع مخلصنا لاحتمالك معمودية الصليب وختانه ونسألك أن تعمق فاعلية معمودية صليبك فينا ليتم ختاننا الذى بدأته فينا بالصليب لكى نبلغ الى مجد القيامة ·